المصدر : الاهرام
التاريخ : ١٣ابريل ٢٠٠٠

تداعيات الانسحاب من جنوب لبنان

الشيء الوحيد في الظرف الراهن، الذى يعد من الأمور المؤكدة فى محاولات التوصل إلى تسوية فى الشرق الأوسط، هو أن إسرائيل سوف تنسحب من جنوب لبنان، فى يوم ٧ يوليو المقبل، وربما قبل هذا الموعد..

ولا شك فى أن هذا الانسحاب يعد انتصارا للمقاومة اللبنانية، ولحزب الله بالذات الذى قاد المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلى.. وألزم باراك بالتذرع بقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، لتبرير انسحاب من الجنوب اللبنانى تقرر اجراؤه دون قيد شرط.. غير أننا نخطىء أو أرجعنا الانسحاب فقط إلى هزيمة إسرائيلية فى وجه ضربات حزب الله المتواصلة.. فلباراك مخطط مرسوم وراء إصراره فجأة على وضع قرار، ظل مجمدا طوال ٢٢ سنة، موضع التنفيذ.. مخطط يستهدف تعويض فشل ما أراده هو من لقاء كلينتون مع الأسد فى جنيف.. لقد أعلن كلينتون أن اللقاء قد أسفر عن نتائج ايجابية.. غير أن الأسد لم يستدرج إلى ما أراده باراك منه..

لقد فشل لقاء جنيف لاستمالة باراك فى رفض شرط الرئيس السورى لاستئناف المفاوضات، وهو أن تنسحب القوات الإسرائيلية من الجولان حتى خط ٤ يونيو ١٩٦٧.. لقد أوحت محادثات كلينتون مع الجانب السورى، قبل لقاء جنيف، بأن باراك على استعداد للاستجابة لشرط الأسد الأوحد.. غير أن كلينتون قد حضر ومعه خريطة اقترحها باراك للحدود بين الدولتين هى الخط الذى جرى الاتفاق عليه بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٢٣.. وكان معنى ذلك حرمان سوريا من حدود تطل على بحر الجليل، وبالتالى انفراد إسرائيل بالمياه المنحدرة من الجولان، وهو أمر قد وضح الأسد مرارا أنه لن يقبل به أبدا.. بغض النظر عن أن الخلاف بين الخطين ضئيل من حيث المساحة..

إن اعادة تاكيد باراك تمسكه بالانسحاب من جنوب لبنان، بعد فشل قمة جنيف هى فى الحقيقة مناورة لا تخلو من دهاء لوضع الرئيس السورى فى مركز حرج.. بل جاز القول إنها الورقة الوحيدة التى يملكها باراك لحث الأسد على الرجوع إلى مائدة المفاوضات..

إن باراك يعلم جيدا أن كلينتون لابد أن يؤيد بقوة قراره بالانسحاب من جنوب لبنان، ذلك أنه قرار يتعذر على الأطراف العربية رفضه.. ثم إن كلينتون شديد الحرص على أن يعلن عن تسوية قبل خروجه من البيت الأبيض،، ولابد أن يرى فى قرار باراك ما من شأنه تحريك الموقف فى مجمله، قبل قوات الأوان وانقضاء الأسابيع المعدودة التى مازالت أمامه، قبل انتقال أضواء المسرح إلى الرئيس الأمريكى الذى سوف يخلفه..

ثم إن باراك ينجز بقرار الانسحاب أمرا سوف يحسن بشكل ملموس مركزه التفاوضى.. ذلك أنه يزيد من حدة التناقضات العربية/العربية.. إذ ليس سرا أن التناقض حاد وشامل بين المفاوضين: السورى والفلسطينى.. وها هو باراك يدق الآن أسفينا بين الجانبين: السورى واللبنانى..

بل أوجد باراك معادلة قد تبدو لأول وهلة بالغة الغرابة.. إذ أن الطرف الذى باشر الاحتلال طوال ١٨ سنة منذ غزو إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، يريد الآن أن يتخلى عن الاحتلال.. بينما الأطراف التى عانت من هذا الاحتلال هى، على عكس ذلك، تبدى تحفظات حول وضع نهاية للاحتلال!!.. ذلك أن استمرار احتلال إسرائيل للبنان ورقة فى يد سوريا للضغط على المفاوض الإسرائيلى من خلال حزب الله، بينما إنهاء الاحتلال يضع حدا لقدرة دمشق على استخدام هذه الورقة.. بل قد يوجد وضعا متفجرا بالغ الخطورة..

إن فى حالة عدم انصياع تنظيمات لبنانية متطرفة لتوجه سوريا، ورفضها للتسوية التى رضيت عنها دمشق وتل أبيب، ماذا يحدث بعد أن جردت إسرائيل نفسها من قواتها الامامية فى الجنوب اللبنانى، وأصبحت قراها فى شمال إسرائيل مكشوفة لهجمات قد تأتيها عبر الحدود من لبنان؟.. لقد هدد المسئولون الإسرائيليون باللجوء إلى اجراءات انتقامية وخيمة العواقب، دون تحديد لها.. وقد يقصرونها على نوعية الإجراءات التى سبق وطبقوها.. وقد تبلغ أبعادا لم يسبق لها مثيل.. بل قد تصل إلى حد التحرش بالقوات السورية فى لبنان.. فهل وارد أن نعود بعملية التفاوض إلى حد ينذر بإشعال حرب جديدة؟..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ربما كشف الاقتراح الذى تقدم به وزير الدفاع اللبنانى غازى زيتر بإحلال قوات سورية محل القوات الإسرائيلية فى الجنوب اللبنانى، بعد انسحاب هذه الأخيرة، عن مدى دقة الموقف.. فعلى خلاف ما كان متوقعا، لم ينفعل باراك للاقتراح.. واكتفى بتعليق مقتضب.. بينما حرص فاروق الشرع، وفى اليوم التالى مباشرة، على رفض الاقتراح بتاتا، من منطلق أن «المطلوب تفاوض وسلام، وليس حربا مع إسرائيل»!..

وقد نسب إلى الوزير اللبنانى قوله، وهو يتقدم باقتراحه، إن سوريا سوف تكون وقتذاك فى وضع يسمح لها بضرب تل أبيب بالصواريخ!.. والحقيقة أن هذه اللغة المتشددة قد تكون ذرا للرماد فى العيون، ولتغطية موقف هدفه الحقيقى هو البحث عن مخرج سلمى من المأزق!.. فمن المعلوم أن دخول القوات السورية لبنان كان تلبية لدعوة من السلطات اللبنانية وقت بلوغ الحرب الأهلية اللبنانية حدا حرجا.. وكان رئيس حكومة إسرائيل فى ذاك الوقت (اسحق رابين) قد أبدى موافقته، ولو ضمنيا على التحرك السورى، للحيلولة دون تجاوز الاقتتال فى لبنان سقفا ما.. ولكنه اشترط عدم تعدى الانتشار العسكرى السورى فى لبنان «خطا أحمر» معينا.. وقد احترمت سوريا هذا المطلب غير المعلن، ولم تنتهك «الخط الأحمر» أبدا، تماما كما التزمت بالهدوء التام على جبهة الجولان، متعاطفة مع إسرائيل بمقتضى أسلوب غير مباشر كان كيسنجر أول من اقتنع الطرفين به.. إن سوريا لم تسمح أبدا بإطلاق رصاصة واحدة عبر الخطوط التى تفصلها عن إسرائيل، بغض النظر عن الأوضاع المضطربة فى الجنوب اللبنانى، واستمرار عمليات المقاومة على يد حزب الله، الذى حظى دائما بمساندة سوريا..

هناك إذن ما يدعو إلى الاعتقاد أنه حتى إذا ما انتشرت قوات سورية على الحدود الجنوبية للبنان، فلسنا بموقف ينطوى بالضرورة على ما يسيء إلى عملية السلام.. خاصة إذا ما التزمت سوريا بأن تكون قواتها على الحدود مع إسرائيل خالية من الأسلحة الهجومية، كالصواريخ مثلا.. بل ربما تصبح هذه القوات، وقتذاك، عنصر استقرار فى ظل تعاقدات سلام بين سوريا وإسرائيل، الأمر الذى يغنى عن الحاجة إلى «خط أحمر»، فى أى موقع فى لبنان.. بل قد يكون الاقتراح مغريا لسوريا هى الأخرى، ولو لمجرد أنه لن يلزمها بسحب قواتها من لبنان، نظير الانسحاب الإسرائيلى..

غير أن الاقتراح اللبنانى كفيل أيضا بإحراج سوريا، ذلك أنه من شأنه إما تحريك الاتفاق مع إسرائيل، وإما تحويل سوريا إلى رهينة فى يد الأطراف اللبنانية المتطرفة، الأمر الذى من شأنه تعريض محاولاتها للتوصل إلى تسوية مع إسرائيل لمزيد من الصعاب.. ومن الصعب أصلا أن تتبنى سوريا شعار إسرائيل التقليدى (الذى تتخلى عنه الآن لأول مرة) بعدم الانسحاب من أية جبهة، ما لم يكن مصحوبا باتفاق ينطوى على مقابل.. إن إسرائيل تملك رفع مثل هذا الشعار لأنها تحتل أراضى عربية.. ولكن ليس هذا هو حال أية دولة عربية!!.. وإن كانت لسوريا مصلحة فى الاعتراض على انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان، فإنه فقط من أجل ضمان ألا يكون الانسحاب من لبنان مبررا لغض النظر عن الانسحاب من الجولان..

إن إسرائيل تطالب بإحلال قوات من الأمم المتحدة محل وجودها هى العسكرى فى جنوب لبنان.. وثمة قوات للأمم المتحدة موجودة فعلا منذ الحرب الأهلية فى لبنان، من الممكن دعمها وتوسيعها وتكليفها بمهمة الفصل بين الجانبين على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

حدود لبنان الجنوبية.. ومن الممكن أيضا كفكرة بديلة، ايجاد قوة جديدة، منفصلة عن الأمم المتحدة، قوة تدخل من الاتحاد الأوروبي مثلا، يكون لفرنسا دور متميز فيها.. فإن فرنسا، كصديقة لكل من لبنان وإسرائيل، قد أبدت استعدادها للنهوض بدور بارز من أجل تجاوز أزمة الجنوب اللبناني.. غير أن الصحف الإسرائيلية قد أشارت إلى أن باراك يفضل الخيار الأول على الثاني، ذلك أنه لا يحبذ أي اقتراح من شأنه زيادة ثقل أوروبا في التسوية، ووجود مزاحمة لأمريكا في النهوض بهذه المهمة، وبالذات من قبل فرنسا.. ومن هذه الوجهة ربما بدا الخيار الأول المستند إلى قوات من الأمم المتحدة هو الأقرب إلى تفكير باراك، ضمانا لاستمرار انفراد أمريكا بدور راعية عملية السلام..

ومع ذلك، جاز لنا القول إن كل الأطراف مقتنعة بأنه من الأفضل أن يتم تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، وانسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان نتيجة اتفاق يشمل كل الأطراف، لا نتيجة تحرك منفرد من قبل إسرائيل.. وليس متصورا التوصل إلى اتفاق يشمل كل هذه الأطراف دون أن يتسع الاتفاق ليشمل قضية الانسحاب من الجولان، وليس فقط من جنوب لبنان.. وهذا بدوره يتعذر تصوره مقتصرا على الانسحاب من أرض هضبة الجولان، دون حل لمشكلة المياه المنحدرة منها.. ولذلك جاز لنا القول إن الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني تحريك للموقف برمته.. ومن هنا، ما يبرر القول إنه إذا صح أن الانسحاب من جنوب لبنان قبل يوم ٧ يوليو المقبل هو الأمر الوحيد المؤكد، فإن للانسحاب بالضرورة تداعيات لابد أن تتجاوز جزئية فقط في عملية التفاوض، أرادت الأطراف أم أبت..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية